هل القمر جميل؟

د. مطلق الجاسر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسعد الله مساءكم بكل خير.

✹ **إذا أراد إنسان أنْ يتغزل بإنسان بجمال وجههِ يقول له: يا قمر، وهذه معروفة عند العرب قديمًا وحديثًا؛** لأنَّ القمر مضرب مثل في الجمال، لكن هل فعلًا القمر جميل؟ هل رأيتم صورة مقربة للقمر؟ انظروا للصورة: لاحظتم كيف صورة القمر؟ ليس جميلًا، بل يكاد يكون بشع، حفر وندوب ونتوء، وسواد في جهة وبياض في جهة، ليس بذلك الجمال اَلَّذِي نراه من بعيد.

★ **وهذا يعني أنَّ البعد يضفي على الشيء جمالًا وجلالًا،** كذلك البشر إذا سمعت بالإنسان من بعيد، سمعت عن أخباره، خصوصًا إذا كان مشهورًا، أو ممدوحًا بشيءٍ ما فإنهُ ينطبع في قلبك جمال وجلال مضاف على جمالهِ وجلالهِ الحقيقي قيمة البُعد.

✍ **وبالتالي: إذا قربت منه ودونت منه ولازمته،** رأيتهُ غالبًا أدون مما انطبع في ذهنك عنهُ، وهذه سُنَّة الحياة، لذلك لما ذكر ابن إسحاق في السيرة أنَّ وفد قبيلة طيء القبيلة الكريمة جاء إلى النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى رأسهم زيد الخيل قد أسلم -رَضِيَ اَللهُ تعالى عَنْهُ-، فلما رآه النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما ذُكِرَ لي رجلٌ من العربِ بفضل إلا رأيتهُ دون ما قيل فيهِ، إلا زيد الخيل فإنهُ لم يبلغ اَلَّذِي فيهِ**»، ثم سماهُ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد الخيل -رَضِيَ اَللهُ تعالى عَنْهُ وأرضاه-.

✹ **كذلك المثل العربي الشهير "تسمع بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه"،** وهذا مثل أطلقهُ الملك المنذر ماء السماء في رجل اسمهُ ضَمْرَة من بني نهشل، هذا الرجل بلغت أخبارهُ إلى الملك، كان شجاع ودوخ الناس على قولهم في شجاعتهِ، وبلغهُ أخبار كثيرة عن هذا الرجل، فقدم يوم من الأيام على الملك، فلما رآه وجدهُ دميم الخلقة، ندو الجسم ضعيف.

★ **فقال الملك: (تسمع بالمعيدي خيرٌ من أنْ تراه)**، نسبةً لابني معد، تصغير بني معد، فأطلقها الملكُ مثلًا، وكذلك يُذكَر القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات والأديب الشهير، والمعروف أنَّ رجلًا طلبهُ يومًا لكي يراه، وقد تعب جدًّا في البحث عنه وفي طلبهِ، فلما رآه كان الحريري دميم، دميم الوجه، وما توقع الرجل أنَّ الحريري الأديب صاحب الكلمات الجميلة بهذه الدمامة.

❋ **فشعر الحريري من هذا الرحل بالانقباض**، وأنهُ ما توقع أنْ يراه بهذا الشكل، فقال الحريري الأبيات التالية، قال له الظاهر أنهُ متعود على هذه الحركة:

مَا أَنْتَ أَوَّلُ سَارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ ... وَرَائِدٍ أَعْجَبَتْهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ غَيْرِي إِنَّنِي رَجُلٌ ... مِثْلُ الْمُعَيْدِيِّ فَاسْمَعْ بِي وَلَا تَرَنِي

فهذا الرجل كأنْ استحى وخجل من هذا الكلام، فقال بيتين يمدح فيهما الحريري، قال فيهما:

كانت مُساءلَةُ الرُّكبانِ تُخبرُنَا ... عن قاسم بن علي أحسن الخبرِ

حتى التقينا فلا واللهِ ما سمعتْ ... أُذني بأحسن مما قد رأى بصَري

أي: عندما رأيتك ازددت لك تعلقًا وإعجابًا.

➢ **وهذا المعنى متروك عند الشعراء والأدباء**، ولذلك مدح المتنبي لعلي بن أحمد الأنطاكي، فلما التقى ذكر مدحهُ بقصيدة جاء من ضمنها قولهُ:

وَأَستكبِرُ الأَخبارَ قَبلَ لِقائِهِ ... فَلَمّا اِلتَقَينا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبرُ

أي: كنت استكبر الأخبار اَلَّتِي تأتيني عنه، وأنهُ كان يفعل، وكان يفعل، فكنت استكبرها عليهِ أي: أنها كبيرة جدًّا، فلما التقينا وخبرتهُ صغر هذا الخُبر وهذه الخبرة بهِ الخبر اَلَّذِي سمعتهُ ورأيتهُ؛ لأنَّ اَلَّذِي سمعتهُ قليل في حقهِ، وطبعًا هذا مبالغة في المدح، وطرق لهذا المعنى اَلَّذِي أرمي إليهِ في كلامي هذا.

۞ **إذا الذي أريد أنْ أوصلهُ**: أنَّ الشخص الَّذِي تراهُ من بعيد ولا تحتك بهِ، قد تُعجب بهِ إعجابًا أكبر من حقهِ، وأنك ربما إذا اختلطت بهِ أو اقتربت منهُ ربما ستنزل مرتبتهُ عندك، وتتفاوت النزول، بعض الناس قد لا تنزل، قد بالعكس قد الَّذِي تراهُ منهُ خير مما سمعت، ولكن هذا نادر، **الأغلب أنَّ البُعد عن الشخص يضفي على الشخص جمالًا وجلالًا**.

✍ **ونستفيد من ذلك**: ألا تغتر بأحدٍ بعيدٍ عنك، قد تُعجب بشخص بعيدٍ عنك، تلتقيه هنا أو تسمع بهِ هناك سماعًا عابرًا، فيُلقَى في قلبك الإعجاب بهِ وهو أقل من ذلك، فكن على حذرٍ، وكن فطنًا متنبهًا.

★ **كذلك العكس صحيح**: قد يكون قربك من إنسان يخفي عليك ما ينطوي عليهِ هذا الإنسان من جلالٍ وجمال، عكس القضية، فكما أنَّ البُعد يضفي جلالًا وجمالًا، كذلك القُرب يخفي أحيانًا الجمال والجلال.

وقد ذُكِر عن عكرمة -رَحِمَهُ اللهُ- وغيرهُ أنهُ قال: (أزهدُ الناس في العالِم أهلهُ)، أي: العالم ذو الفضل العظيم أزهد الناس فيهِ هم أهلهُ، **لماذا؟** لكثرة ما يخالطونهُ في حياتهِ اليومية، وذُكِر عن الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- كما ذكَر القاضي عياض في كتابهِ [ترتيب المدارك]: أنَّ لهُ ابنة كانت تستمع لمجالس الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- من وراء باب، وكانت حافظةً لعلم أبيها، بل كانت تصحح لهم أحيانًا من وراء الباب، وكان هناك ابن للإمام مالك اسمهُ محمد، كان يمر عليهم ويدخل وعلى يده باشق، أي: سقار.

فالرجل يعبر من بين الكتب وبين علمهِ وعلم أبيه وتلاميذ أبيهِ، ولا يجلس ولا يلتفت لهم، فكان لما يخرج الابن، ينظر الإمام مالك يقول: **(إنما الأدبُ من الله، هذا ابني وهذه ابنتي)**، فانظر كيف الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ- نجم السُنَّن يُرحل إليهِ من أقاصي الأرض، وابنهُ الَّذِي في دارهِ يزهد فيهِ وفي علمهِ ويتركه ويذهب، والقصص في هذا كثيرة.

➢ **ولكن خلاصة ما أريد قولهُ**: أنك قس الإنسان قياسًا حقيقيًا، وإياك أنْ تغتر ببعدهِ عنك، فيزداد الإنسان قيمةً فوق قيمته، وإياك أنْ تغتر بدنوهِ منك وقربهِ منك فتنزلهُ عن مرتبتهِ ومكانتهِ اَلَّتِي يستحقها، كن منصفًا وقس كل إنسانٍ بما يستحقهُ، بغض النظر عن قربهِ وبعدهِ منك.

أرجو أنْ يكون كلامي واضحًا، وأتأسف على الإطالة، وجزاكم الله خير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.